سياق تحرير وثيقة المطالبة بالاستقلال 11 يناير 1944 وأهميتها في استقلال المغرب

The context of issuing the document of demanding independence on january11, 1944 and its importance in fulfilling Morocco's independence

فاطمة الزهرة الموغة (*)[1]

كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة عبد المالك السعدي، المملكة المغربية

fatima.z.elmougha@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/02/15 **تاريخ القبول**: 2021/04/04 **تاريخ النشر**: 2021/05/05

ملخص:

شهد تاريخ المغرب المعاصر أحداثا متسارعة ومتلاحقة ساهمت بشكل كبير في ترك الأثر الكبير على كل المستويات منها: السياسية، الاقتصادية والاجتماعية في التاريخ الراهن باعتبار التسلسل التاريخي والاستمرار فيما بين السابق واللاحق من الفترات وانعدام القطيعة التاريخية ضمن مساره العام. وتعتبر فترة الحماية الفرنسية أهم مقطع زمني ترسبت خلاله كل التغيرات العميقة التي لحقت البلاد والمغاربة فيما بعد، وعلى هذا الأساس فان موضوع المقال يأخذ أهميته من سياق وجاذبية المرحلة الزمنية التي اختص بدراستها وبأهم حدث الذي اعتبر مفصليا في العلاقات بين المغرب وفرنسا والذي يتعلق بتقديم "وثيقة المطالبة بالاستقلال" التي كان لها عندئذ وقعا كبيرا ودورا أساسيا في انتقال الحركة الوطنية من المطالبة بالإصلاح إلى المطالبة بالاستقلال ودعوتها الصريحة إلى فك الارتباط بفرنسا انسجاما مع الموجة الدولية التي كانت آنذاك تساير مطالب تصفية الاستعمار.

الكلمات الدالة: الحماية الفرنسية، وثيقة المطالبة بالاستقلال، الحركة الوطنية، تصفية الاستعمار، الإصلاح.

(*) **المؤلف المرسل: فاطمة الزهرة الموغة:** fatima.z.elmougha@hotmail.com

Abstract:

The contemporary history of Morocco has witnessed rapid and successive events that have contributed greatly in impacting its current history on all levels: political, economic and social due to the historical sequence and continuity between the previous and the later period and the absence of a historical rupture within its general course. However, the period of the French protectorate is considered to be the most important segment of time during which all profound changes occurred to the country and its people and have deposited since then.

In line with this, the importance of the topic of this article lies in both; the context and attractiveness of the time period that it studies in addition to the most important event that is considered pivotal in the Moroccan- French relations which is, the presentation of "independence demand document". The later document had a great impact then and played a fundamental role in shifting national movement up from demanding reforming to demanding independence and explicitly call to disengage from France in line with the international wave that was at that time calling for decolonization.

Keywords: French protectorate; the document of demanding independence ; national movement; decolonization; reformation.

1. مقدمة:

إن المواكبين لكل أو معظم حقب الحركة الوطنية المغربية، يؤكدون أن المنطلق العملي لمعركة الاستقلال بمفهومها الجريء العلني، كان مع إشراقة يوم 11 يناير 1944، الذي انبعثت فيه مفاجأة المطالبة الفعلية بالاستقلال. وذلك عن طريق معركة طويلة المدى امتدت تسعة عشر عاما كاملة، ابتدأت ببروز الحركة الوطنية، ثم الأحداث التاريخية التي عرفها المغرب في الفترات المتتالية من تاريخه، مما جعل هذه الوثيقة تعتبر محطة بارزة في مسار الكفاح الوطني من أجل الحرية والاستقلال، وتحقيق الوحدة الترابية والسيادة الوطنية.

خاصة وأنه مع مطلع الأربعينيات، تغيرت الظروف في الخارج، فساهم تطور السياق الدولي، واندلا ع الحرب العالمية الثانية وبروز الصوت الأمريكي والسوفياتي المنادي بحق التحرير

وارتفاع المساندة العربية للقضايا المغاربية والقضية المغربية، في تحول رواد الحركة الوطنية للمطالبة بالاستقلال متجاوزين الإقامة العامة ومقترحاتها بشأن إمكانية تطبيق الإصلاحات، وهو ما جسدوه بوثيقة الاستقلال في 11 يناير 1944 كما سبق الذكر.

وقد سجلت هذه المرحلة صراعا حادا بين الحركة الوطنية والإقامة العامة الفرنسية التي حاولت عزلها عن المجتمع المغربي وعن السلطان، إلا أن هذا الأخير أدرك بأن الثوابت التاريخية تفرض الإنصات إلى مطالب الشعب، وعدم الانصياع للضغوطات الفرنسية إلى أن تمت القطيعة بينه وبين الشعب المغربي مع عملية نفيه سنة 1953.

فما هو إذن السياق الذي حررت فيه هذه الوثيقة؟ وما هي ردود فعل كل من السلطان والإقامة العامة عند تقديمها؟ وما هي المفاوضات التي حددت مصير المغرب المستعمر آنذاك؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه باعتماد المنهج التحليلي المعتمد النهج التاريخي وصفا وتحليلا وتركيبا، عبر النبش في الظروف والعوامل التي مهدت لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال ومضامينها والمستجدات التي خلقتها بين المؤيدين والمعارضين لها، وما شكلته من تأثير على أحداث المغرب إلى حدوث الاستقلال.

2: ظروف تحرير وثيقة المطالبة بالاستقلال والمساهمين في تحريرها

قبل الخوض في ظروف تحرير الوثيقة والمساهمون في تحريرها، يجب الإشارة أولا إلى أنه عكس الكتابات التي تجمع أغلبها على أن حزب الاستقلال هو الطرف الوحيد الذي ساهم في إعلان مطلب الاستقلال بشكل واضح في وجه فرنسا، فقد تم إعلان المطالبة بالاستقلال في وقت واحد تقريبا من طرف "الأحزاب الوطنية"، أولها بمنطقة الحماية الاسبانية في 14 فبراير1943 ، ثم الحزب الشيوعي المغربي 1943، ليأتي دور حزب الاستقلال سنة 1944.[1]

فما هي أهم الظروف الدولية والوطنية التي ساهمت، وميزت فترة بداية الأربعينيات، بانتقال أحزاب الحركة(حزب الاستقلال)، من المطالبة بالإصلاحات إلى المطالبة بالاستقلال؟

إجمالا يمكن القول بأن الساحة الدولية في بداية الأربعينيات عرفت مستجدات شجعت الوطنيين على المطالبة بالاستقلال، ففي سنة 1939، انطلقت شرارة الحرب العالمية الثانية، التي فتحت حقبة جديدة في عهد "السلطان" الذي اتخذ موقفا شجاعا خدم القضية الوطنية، خاصة وأنه بعدما انهزمت فرنسا أمام القوات الألمانية، ارتفعت معنويات الوطنيين المغاربة الذين أصبحوا يتطلعون لتحقيق الاستقلال مع القصر[2]. ثم توقيع "الميثاق الأطلسي" في غشت 1941، بعد اجتماع" تشرشل Churchill" و "روزفلت Roosevelt". فأعادت نصوصه ذكرى مبادئ "ويلسون wilson". حينما قالت: " أن الدولتين تحترمان حق الشعوب في اختيار نوع الحكم الذي ستعيش في ظله، وأنهما ستناضلان بعد الحرب لمساعدة الدول الأخرى صغيرها وكبيرها لتحرز الرخاء، وتحسن مستوياتها الاقتصادية"[3]. وكان المغرب من الدول المعنية بهذا الميثاق باعتباره من بين الدول التي شاركت في الحرب إلى جانب الحلفاء.

كما ساهم نزول قوات الحلفاء يوم 8 نونبر 1942 على شواطئ المغرب لمحاربة النازية[4]. في زيادة أمل المغاربة.

لتأتي سنة 1943، التي سيظهر فيها السلطان "محمد الخامس" في لقاء مع "روزفلت" في مؤتمر" أنفا" بالدار البيضاء [5]. ولأول مرة في حكمه سيتحدث "محمد الخامس" بدون رقابة فرنسية إلى سياسي أجنبي كبير.[6]

ليكون هذا اللقاء بمثابة فاتحة عهد جديد في تاريخ المغرب، حيث بعث الأمل في نفس "السلطان" و"الشعب"، لأنهم اكتسبوا صداقة حليف يتمكنون في النهاية عن طريق نفوذه من استعادة كيان الوطن واستقلاله.[7] لاسيما أن المغاربة أدركوا أن مصيرهم لم يعد معلقا بفرنسا فقط بل بانجلترا وأمريكا بشكل خاص.

كما عرف المغرب عدة مستجدات أخرى شجعت رجال الحركة باتفاق مع "السلطان" على تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال. من أهمها:

خروج المعتقلين السياسيين من السجون سنة 1938، رغم أنه لم يكن بإمكانهم القيام بأي عمل سياسي نظرا لتشديد الخناق عليهم من طرف السلطات الاستعمارية[8].

زيادة على ذلك كانت هناك عوامل أخرى مساهمة، نجد في مقدمتها استقلال "لبنان" و" سوريا" في نونبر 1943، ثم ظهور الحكومتان المتصارعتان، (اللتين ظهرتا بعد انهزام فرنسا أمام ألمانيا).

ليتم في خضم هذه الظروف والأحداث تقديم وثيقة 11 يناير 1944، بعد أن وحد أعضاء الحركة الوطنية صفوفهم من جديد، وعقدوا عدة اجتماعات مع "السلطان" حيث عرضوا عليه فكرة المطالبة بالاستقلال فتحمس لها ووافقهم ذلك.[9]

وبما أن الرئيس الأمريكي كان قد وعد السلطان المغربي بالعمل على تحقيق استقلال البلاد، كقضية مطروحة لدى رجال الحركة الوطنية، الذين شرعوا في العمل على تأسيس حزب الاستقلال، الذي أصبح "بلافريج" كاتبا عاما له، وفي 11 يناير 1944 سيقدم الحزب "بيانا إلى السلطان والسلطات الفرنسية والحلفاء، يطالب فيه بالاستقلال".[10]

وسلم هذا المشروع إلى اللجنة التي كانت مهمتها الإشراف على إعداد الوثيقة النهائي، بعدما اجتمعت الطائفة،[11] وأعضاء اللجنة التنفيذية للحزب وعرضت عليها فكرة الاستقلال، فقررت الطائفة تبنيها وتهيئة وثيقة تتضمن ذلك المطلب.[12]

ويتضمن البيان سلسلة من "الحيثيات" يبتدئ بها، هي بمثابة مقدمة تحاكم نظام الحماية، ثم يعرض مطالب الحزب، مناديا بوحدة واستقلال المغرب، ويقترح من أجل ذلك إجراء مفاوضات مع الأمم المعنية، ويلتمس انخراط المغرب في ميثاق الأطلسي، ومساهمته في مؤتمر السلام، كما يقترح بالإضافة إلى ذلك بعض الإصلاحات على الصعيد الداخلي[13].

وكما أجمع المؤرخون فإن عدد الموقعين على البيان، في المجموع 58 مثقفين ممن كانوا ينتمون في معظمهم للبرجوازية المتوسطة، وكان إلى جانبهم بعض التجار الأغنياء من رجال الأعمال والملاكين العقاريين.[14]وقد عملوا على توزيع البيان على نطاق واسع كما عرف نجاحا باهرا.[15]

وقد شكل تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال ضربة قوية لسياسة الاستعمار (الفرنسية-الاسبانية)، خاصة وأن هذه الوثيقة جاءت بالارتباط مع سلسلة من المواقف الهامة التي بينت التلاحم المتين بين الشعب والقصر الملكي. مما أدى إلى بروز مواقف تأرجحت بين التأييد والمعارضة.

3:موقف السلطان والإقامة العامة من تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال

1.3. موقف السلطان

قام السلطان "محمد الخامس" بعد استلامه وثيقة المطالبة بالاستقلال، بالدعوة إلى عقد اجتماع يوم 13 من يناير 1944، حضره الوزراء والقادة والقضاة، حيث أبلغهم بالوثيقة التي قدمها إليه حزب الاستقلال، وتمكن من كسب أصواتهم لصالح الوثيقة. ثم قرر تشكيل لجنة ضمت رئيس التشريفات، وعدد من الوزراء لتتصل باللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، للبحث في الوسائل التي يتفق عليها لتحقيق مطالب وثيقة الاستقلال.[16]

لتتفق تلك اللجان بعد تشاورها على ضرورة إلغاء الحماية والبدء بالاتصال بالإقامة العامة الفرنسية، فاستمرت تلك الاتصالات ثلاثة أيام، أوضحت فيها لجنة حزب الاستقلال موقفها، ولكن الإقامة العامة طلبت حذف كلمة الاستقلال من الوثيقة مقابل إعلانها المساواة بين المغاربة والفرنسيين.[17] ليبدأ ظهور الموقف الفرنسي تجاه مطلب الاستقلال.

وبعدما شعرت الحماية بأن مصالحها أصبحت تهدد، وأدركت أن تضامن "الملك" مع "الوطنيين" أصبح حقيقة لا غبار عليها.[18] التجأت إلى سياسة التصالح المؤقتة، الشيء الذي أدى إلى تعيين المقيم العام المدني" إيريك لابون" سنة 1946، بدل "غابرييل بيو"،[19] الذي اعتبر حدث تعيينه دليلا يشير إلى رغبة فرنسا في إنهاء جو التوتر الذي ساد المغرب آنذاك بعد صدور وثيقة الاستقلال، فحاول المقيم العام الجديد القيام بمجموعة من الإصلاحات لصرف المغاربة عن مطلب الاستقلال، فقام بالتقرب من

"السلطان" و"الوطنيين" بفتح حوار بينه وبينهم، وعمل على إطلاق سراح المعتقلين السياسيين وإرجاع المنفيين، لكن انفتاحه كان شكليا فقط.[20]

لأن إصلاحاته لم تكن إلا تكريسا لنظام الحماية المفروض على البلاد، وهو في ذلك يختلف عما سبقه، فجميع الأفكار التي عبر عنها تدل على أنه ما زال يفكر في دائرة نظام الحماية،[21] في حين أن المغرب يطمح لتحقيق الاستقلال.

فدفع هذا بالسلطان "محمد الخامس" للقيام بزيارته لمدينة طنجة في أبريل 1947، والتي كان الهدف منها تثبيت وحدة الوطن، وإقرار سيادته على معظم مناطق البلاد، واستغلال الوضع الدولي الذي تمتاز به المدينة للتعريف بالقضية المغربية في المحافل الدولية، في وقت زادت فيه فرنسا من مناوراتها الرامية إلى دمج المغرب ضمن الاتحاد الفرنسي.[22]

هذا ما يبين بوضوح اختيار السلطان لمدينة طنجة دون غيرها من المدن المغربية. فلجأت فرنسا إلى العمل على خلق عدة عراقيل لمنع "السلطان" من القيام بزيارته بعدما أدركت أبعاد هذه الزيارة.

لكن رغم اعتراض السلطات الاستعمارية، انطلقت الرحلة في موعدها من الرباط إلى طنجة على متن القطار، ليحطم بذلك الحدود الوهمية التي عمل على خلقها الاستعمار(الفرنسي–الاسباني) لفصل الشمال عن الجنوب، فجاءت هذه الزيارة لإعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي وتلم الشمل من جديد.[23]

وصباح يوم الخميس10أبريل كان موعد استقبال "السلطان" لأعضاء السلك الديبلوماسي وأعيان المدينة ووفود الجهات، وفي مساء هذا اليوم ألقى خطابه التاريخي الذي زعزع أركان الاستعمار، معلنا إرادة المغرب في "الاستقلال" ومحددا سياسته الخارجية، بتأكيده على رغبته في الانتماء إلى جامعة الدول العربية والأمم المتحدة، ومما أعطى لهذه الرحلة التاريخية مكانتها في الساحة الدولية هو ذلك الاهتمام الذي حظيت به من طرف الصحافة العالمية العربية والأجنبية، التي أجمعت على أهمية الزيارة وبعدها السياسي سواء في الداخل أو الخارج. ونجد في هذا الصدد الأستاذ"عبد العزيز التمسماني خلوق" يقول:

"لقد حظيت الرحلة الملكية في أبريل 1947 إلى طنجة باهتمام العديد من كتاب المذكرات والصحافيين المؤرخين، فكان لها وقع في نفوس جميع المغاربة وأثر عميق على وجدان أهالي المدينة الذين كانوا أشد إحساسا بالظروف القاسية التي عانوها منذ فرض النظام الدولي، وطيلة فترة الاحتلال الاسباني. وهكذا أثارت هذه الرحلة التاريخية موجة من الحماس، وخلفت أصداء واسعة خارج حدود المدينة".[24]

وتجدر الإشارة إلى أن أهمية هذه الزيارة الملكية للمدينة لا تكمن في تخطي الحدود الوهمية التي وضعها الاستعمار، بل في لقاء الملك مع أبناء شعبه في الشمال، ومطالبته برد حقوق المغاربة، أهمها، "حق الوحدة والتحرير من جميع القيود".[25] فكان للرحلة أثر في جعل "القضية المغربية"، تصبح قضية دولية تبحث في الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة.

2.3 موقف الإقامة العامة الفرنسية

إن أول ما قامت به الإقامة العامة الفرنسية في شخص "غابرييل بيو" كرد فعل على تقديم الوثيقة المتضمنة لمطلب الاستقلال، هو قيامه بإبلاغ السلطان "محمد الخامس" في 13يناير 1944، بقرار الإقامة العامة المتمثل في رفض المطالبة بالاستقلال، مشيرا إلى استعداد الحكومة الفرنسية إدخال عدد من الإصلاحات التي من شأنها رفع المستوى العام للمغرب.[26]

وتوالت ردود فعل الإقامة العامة الفرنسية، بدءا بقيامها بنشر عدد من الدعايات التي تقول بان حزب الاستقلال يريد أن يقوم بأعمال من شأنها أن تهدد مصالح الحلفاء في مقاومة دول المحور، ثم أصبحوا يأخذون الضمانات من حلفائهم، ولا سيما أن الأمريكيين بدورهم لا يؤيدون ولا يناصرون المغاربة الذين يطالبون بالاستقلال فأصبحت الحالة تتأزم يوما بعد يوم، لذلك أصدر حزب الاستقلال بيانا فند فيه دعوى الإقامة العامة بأنه لا يريد أن يضر مصالح الحلفاء بمطالبته بالاستقلال، وأنه طالب بحق مشروع، وفي دائرة المشروعية ونطاق المواثيق الدولية، وفي طليعتها ميثاق الأطلسي الذي صدر عن الحلفاء أنفسهم، ومن ضمنهم فرنسا الحرة نفسها.[27]

وبدأت الإقامة العامة بمطاردة كل من وفد إلى الرباط مؤيدا لمطالب الاستقلال، ثم أخذ المسؤولين الفرنسيين بفصل الموظفين المغاربة من أعمالهم كونهم أيدوا وثيقة الاستقلال، بعدما أعطيت الأوامر لمراكز الشرطة بأخذ الحيطة والحذر.[28]

وفي ليلة 29/28 يناير توجت فرنسا ضغوطها بإلقاء القبض على قادة الحزب وفي مقدمتهم "أحمد بلافريج" و"محمد اليزيدي" و"أحمد مكوار" و"عبد العزيز بن ادريس" و"الهاشمي الفلالي" بتهمة الاتصال بألمانيا والإعداد لثورة مسلحة في المغرب، مما أدى إلى

اندلاع انتفاضة يناير في عدد من المدن كالرباط وسلا وفاس ووجدة والدار البيضاء مطالبين بإطلاق سراح الزعماء، فتصدت لها سلطات الحماية بعنف شديد، وأصدرت أحكاما بالإعدام وأخرى بالسجن في حق عدد من المتظاهرين.[29]

بحيث تجمع سكان مدينة الرباط في ساحة القصر الملكي، وهم يهتفون بتحرير "أحمد بلافريج" و"محمد اليزيدي"، كما بقيت الهتافات قوية وعنيفة واشتد هياج المتظاهرين حين خرج لهم مدير التشريفات ودعاهم للتفرق موضحا لهم بأن "أحمد بلافريج" له اتصال مع الألمان، فما كان من المتظاهرين، إلا أن هاجموه مستمرين بالهتافات والمطالبة بإطلاق سراح "بلافريج" و"اليزيدي".[30]

كما اعترض السلطان على إجراءات الإقامة العامة الفرنسية باعتقال "بلافريج" و "اليزيدي" قائلا: "لا يلقى القبض على أي شخص من المواطنين إلا إذا كان كانت هناك حجة تبرر ذلك، ف "بلافريج" الذي تتهمونه بزيارة ألمانيا والاتصال بزعماء المحور، لابد أن تعرض قضيته على رجال العدل، ولو كانوا من العسكريين، ولابد أن يعين إلى جانبه محامون، ليتابعوا قضيته ويشدوا أزره لتظهر براءته التي نحن متيقنون منها، أما "اليزيدي" فليس لديكم أي اتهام ضده، فضلا عن أنه هو الذي يستطيع أن يهدئ من ثورة المحتجين، والمتظاهرين الذين قصدونا في قصرنا مطالبين بإطلاق سراح المعتقلين".[31] فأطلق سراح "اليزيدي" في اليوم نفسه.

أما مدينة سلا فعرفت بدورها تظاهرة نظمها أعضاء حزب الاستقلال في اليوم 29يناير1944. ابتدأت من المسجد الأعظم، واستمرت في مسيرتها على الرغم من وجود قوات الجيش الفرنسي التي أطلقت النار على المتظاهرين في حي الباشا، فأصيب عدد منهم

بجروح، وعلى الرغم من ذلك تحدت التظاهرة قوة الجيش، واتجهت مجموعة من المتظاهرين نحو الرباط.[32]

فحاول المراقب المدني الفرنسي التفاوض مع المتظاهرين، وذلك الأسلوب اتبعته الإقامة العامة لاكتشاف قادة التظاهرة واعتقالهم، وفي أثر ذلك حاول أحد الجزائريين إصابة المراقب المدني بسكين، عندها أطلق الرصاص من كل جانب وأخذ الشهداء يتساقطون وقد تجمع المتظاهرين في اليوم التالي لدفن ضحاياهم في مقبرة واحدة، فاستغلت قوات الجيش ذلك، واحتلت المدينة وقامت بنهبها، واعتقلت عدد كبير من أعضاء حزب الاستقلال من بينهم أبو بكر القادري.[33]

كما تجدر الإشارة إلى أنه نتيجة القمع الشديد التي قامت به الإقامة العامة الفرنسية وقعت عدة معارك بين الوطنيين والجيش الفرنسي قتل فيها ستون مغربيا، وجرح فيها مئة شخص، واعتقل نحو ألف شخص، ودامت معارك فاس نحو أسبوعين تم خلالها ذبح أحد عملاء الإقامة العامة الذي تسرب إلى مسجد القرويين، وأخذ يدون علنا أسماء قادة التظاهرة والخطباء وأقوالهم، فتذرعت الإقامة العامة بهذا الحادث لتذيع بيانا تحذر فيه باحتلال المساجد، إن لم تتوقف التظاهرات، وتعود المدينة عن فك إضرابها العام، مما أدى بالوطنيين إلى إنهاء الإضراب.[34]

وقد كان في اعتقاد الحكومة الفرنسية أن باعتقالها ونفي "أحمد بلافريج" سوف تجهض فكرة المطالبة بالاستقلال، لكن ذلك لم يقلل من عزيمة رجال الحركة الوطنية بل العكس، لو يزدهم الاعتقال والنفي إلا إصرارا على مواصلة مشوار "بلافريج" لنيل الاستقلال المنشود.

فكانت البداية لبروز أحداث ومواقف أخرى في الساحة السياسية المغربية.

4: المفاوضات التي حددت مصير المغرب المستقل

لا يزال استقلال المغرب، رغم كل هذه السنوات التي تراكمت، يثير شهية النبش في سيرته بالنظر إلى أن عددا من حلقات هذا الاستقلال، وقبله، لا تزال مفقودة، ومن بين هذه الحلقات حقيقة المفاوضات التي جاء على إثرها الاستقلال. كمفاوضات "اكس ليبان" والتي يرفض البعض بأن يدعوها مفاوضات بل يعمدون إلى إيرادها تحت اسم "مؤتمر إكس ليبان". وتعد هذه المفاوضات نقطة هامة في مسار الاستقلال.

فما هي الأهداف التي نتجت عنها؟ وما هي حقيقة هذه المفاوضات؟

بعد نفي محمد بن يوسف مباشرة استأنف النضال التحرري ضد الاستعمار الفرنسي على شكل مقاومة مسلحة في جميع جهات المغرب بعد هذه الفترة أصبح كل مغربي يعلم أنه عليه أن يشارك في المقاومة ضد السلطات الاستعمارية بكل الوسائل المتوفرة له.

وأمام ازدياد هذه المقاومة المسلحة وتصاعدها، هنا أخذت السلطات الاستعمارية الفرنسية تبحث عن حلول لما أسمته ب "الأزمة المغربية"، أمام ذلك بدأت فرنسا تبحث عن حل لضمان المصالح الحيوية.[35]

وبعد أن فشلت الإدارة الفرنسية في تنصيب ملك بديل، حينما اختارت لهذا الدور "محمد بن عرفة"، كان لابد من البحث عن صيغة لإنهاء هذا الاحتقان، لذلك كان الحل هو الترتيب لمعاهدة "اكس ليبان"، والتي حضرها من الجانب المغربي ممثلون عن حزب الاستقلال، وحزب الشورى والاستقلال، وممثلون عن السلطان وبعض قواد الاستعمار.

وقد دامت المفاوضات حسب البعض ثلاثة أيام حيث تم الاتفاق خلالها على رجوع السلطان "محمد الخامس" من منفاه بمدغشقر، وإعلان "نية" فرنسا منح المغرب "استقلالا" في 2نونبر1955، على أن تكون تفاصيله محددة فيما بعد من الإعلان المشترك، والبروتوكول

الملحق به في 2مارس 1956. وبهذا الاتفاق سيتم التنازل من طرف الإدارة الفرنسية عن قسط صغير من الثروات لصالح البورجوازية التي نشأت في حضنها بالبلد كي تستطيع تأمين الجزء الأكبر، وستسهر على بناء نظام سياسي على مقاسها.

ولعل النجاح الفرنسي في هذه المهمة، هو الذي شجع الاستعمار الاسباني على توقيع اتفاق2 أبريل 1956 مع السلطان محمد الخامس.[36]

وللإجابة على السؤال المطروح سنستند على مجموعة من الشهادات لمن شاركوا في هذه المفاوضات وبعض من عاصروا الحدث وكتبوا عنه كذلك. ومن رفض المشاركة فيها.

نجد في هذا الصدد "عبد الهادي بوطالب"، الذي كان ضمن الوفد المغربي عن حزب الشورى والاستقلال، بلقاءات "اكس ليبان" واصفا الهدف منها الذي كان يراد منه أن يكون مؤتمر حوار مغربي- مغربي، أي بين التقليديين والوطنيين ليصلوا إلى وفاق بينهم في موضوع العرش على أرضية مشتركة يمكن أن يستقر عليها الطرفان بالتراضي. والذي يقول: " لما وصلنا إلى "اكس ليبان" يوم 22 غشت 1955 قيل لنا إن الباشا التهامي الكلاوي والقواد الآخرين موجودون بالمدينة، فامتنعنا عن لقائهم وقلنا:" نرفض هؤلاء، فهم ليسوا معنيين بالأمر، هم عملاء الإقامة العامة...".

أفهم وفد الوطنيين المغاربة أعضاء الحكومة الفرنسية، الموفدة إلى "اكس ليبان" بأن إقامتها العامة في المغرب تخدعها وتكذب عليها، واضطر الفرنسيون بعد تلكؤهم ثم بإمعان النظر إلى القبول بوجهة نظر الوفد المغربي، فأرجعوا في نهاية الأمر القواد الموالين للإقامة العامة إلى المغرب. ولذلك فإن مؤتمر "اكس ليبان" الذي يتحدث عنه التاريخ- بحسب بوطالب- لم يكن مؤتمرا لأنه لم يجتمع قط. وقد سبق أن كتب هذا في الثمانينات في "موسوعة ذاكرة المغرب" باللغة الفرنسية بعنوان" المؤتمر الذي لم ينعقد"..."لأننا لم نجتمع مع أولئك العملاء. واضطر الوزراء الفرنسيون الذين جاءوا إلى"اكس ليبان" لاستدعائهم —من بعد- وحدهم

فاجتمعوا بهم منفردين. وصرفوهم فرجعوا إلى المغرب من حيث أتوا. واستدعونا نحن واجتمعوا بنا وحدنا. فأطلعناهم على وجهة نظرنا ووضعنا الأمور في نصابها. إن مؤتمر "اكس ليبان" انتهى كما قلت قبل أن يبدأ، وبالتالي لم يدخل قط التاريخ..."

لقد انقطعت الاتصالات بين الوطنيين، وبين السلطان محمد بن يوسف لأن الحصار كان مضروبا عليه بمنفاه. ولكن مع توالي الأيام وانتهاء معركة ما سمي ب "خدعة اكس ليبان" تبين لفرنسا أنه لا حل للأزمة المغربية إلا بالدخول في محاورة مباشرة مع الوطنيين في جبهة العمل الوطني، مستبعدة الحوار مع نفسها–أي بواسطة القواد والباشوات والعملاء التقليديين– وأنشأت فرنسا داخل الحكومة الفرنسية وزارة خاصة باسم وزارة الشؤون المغربية والتونسية، كان يشرف عليه الوزير" بيير جولي". [37]

كما أن هناك من رفض المشاركة في هذه المفاوضة ك " بوعبيد" في القسم الثالث من مذكراته، الذي فك فيه باعتباره أحد الذين تتبعوا عن كثب وشاركوا في مخاض استقلال المغرب بعضا من طلاسم المفاوضات التي قادت إلى استقلال المغرب، وقدم الراحل "بوعبيد" عبر مساحة مذكراته توضيحات هامة. حول أسئلة وتساؤلات متعددة تخص "اكس ليبان" وآراء القادة الاستقلاليين وبعض الخفايا التي ارتبطت بمفاوضات الاستقلال، وألقت بظلالها على المغرب المستقل. فكانت أول نقطة تطرق لها، هي التذكير بالظروف التي أجريت فيها لقاءات" اكس ليبان"، التي عارضها الزعيم "علال الفاسي"–بدوره– علانية.

روى "بوعبيد"، أنه خلال اجتماع عمل اللجنة التنفيذية للحزب، وقبل بدء المفاوضات. كان الهدف من هذا اللقاء. هو "تبديد أي غموض" أو تأويل خاطئ"، وذلك في حال استدعاء الحزب إلى" اكس ليبان". وسيظهر لاحقا أن الغاية من "اكس ليبان" لم تكن لأجل تفاوض زعماء الحركة الوطنية مع الحكومة الفرنسية المغربية، بل من أجل عرض وجهة نظر حزب الاستقلال كحزب فقط.

فهم الوفد المغربي سريعا، أن الهدف اللقاء قرره الرئيس "إدغارفور" من أجل أن يكون الوزير الفرنسي في الشؤون الخارجية، على وجه الخصوص على اطلاع ب "الملف المغربي"، كشبه تمرين بيداغوجي. وقد اشترط السيد "انطوان بيناي"، أحد أعمدة أغلبية الرئيس "فور" استدعاء كل التيارات، بما فيها أقطاب المخزن والباشوات وقيادة الحماية...

كما أكد "بوعبيد" على مسألة جوهرية، تمثلت في أنه" لم تكن هناك مفاوضات في"اكس ليبان" ولا مشاركة في أية مائدة مستديرة من أي نوع. أكثر من تلبية للدعوة الفرنسية لأجل شرح المغاربة لموقفهم، وطرح شروط حل حقيقي وفعلي للأزمة. والتي كان احتمال رفضها، سيشكل خطأ سياسيا لا يمكن تفسيره ولا قبوله من طرف الرأي العام الدولي.[38]

كما يعتبر "المهدي المنجرة" من أبرز من رفعوا الستار عن مفاوضات" اكس ليبان"، فقد تحدى في حياته أيا كان يقول بأن "اكس ليبان" كانت مفاوضات دارت حول استقلال المغرب، واعتبر أنها مجرد تسوية بين زعماء سياسيين والمستعمر الفرنسي.[39]

ثم "البصري" الذي يقول بدوره في قضية "اكس ليبان": "لابد لنا أن نعترف باعتبارنا ساهمنا في هذه المرحلة كأعضاء أو مسؤولين في حزب الاستقلال من أن عملية اكس ليبان كانت ضربة موجهة إلى النضال ونكسة لاستقلال المغرب".

وقال أيضا: "الاستعمار عمل على حسم الموقف بتحويله الصراع معه إلى الصراع على السلطة وتجزئة الوحدة الوطنية التي خلقها النضال السياسي بتسليمه الحركة الوطنية هدية مسمومة سميت بالاستقلال".

وكذلك "المهدي بن بركة" اعترف بذلك في كتابه "الاختيار الثوري"، حيث اعتبر مفاوضات "اكس ليبان" من الأخطاء القاتلة. ومحمد بن عبد الكريم الخطابي الذي رفض كذلك هذه المفاوضات وسمى الاستقلال بالاستحلال.

لتكون بذلك قد أجمعت كل مذكرات الوطنيين ك –شهود عيان– على أنها لم تكن سوى "تغليف" للاستقلال "الممنوح".

كما تجدر الإشارة إلى أنه لفهم ما جرى في مفاوضات "إكس ليبان" يوم 2نونبر 1955، التي توجت ببنود الاستقلال الشكلي للمغرب، لابد من الرجوع لبرتوكول أو إعلان "سيل سان كلو" بين فرنسا وعملائها بزعماء القصر، والتي ستحدد تفاصيله فيما بعد من الإعلان المشترك والبروتوكول الملحق به في 2 مارس 1956. وهو البرتوكول الذي شجع الاستعمار الاسباني أيضا على توقيع اتفاق 2 أبريل 1956 مع السلطان محمد الخامس للانسحاب من شمال المغرب.

كان قد جاء في ديباجة الإعلان المشترك أنه حصل الاتفاق بين حكومة جمهورية فرنسا وسلطان المغرب محمد الخامس، وفي تفاصيله –أي الإعلان المشترك– بأن مفاوضات ستجمع في باريس بين المغرب وفرنسا هدفها توقيع اتفاقيات جديدة لتنظيم العلاقات بين البلدين في مجالات المصلحة المشتركة أساسا: الدفاع، العلاقات الخارجية، الاقتصادية، والثقافية، والتي تضمن حقوق وحريات الفرنسيين المقيمين في المغرب والمغاربة المقيمين في فرنسا. ويضيف الإعلان المشترك ، في انتظار توقيع الاتفاقيات الجديدة بين الطرفين وبناء المؤسسات الجديدة، لن يتم المس بوضعية الجيش الفرنسي، وأن الجيش الذي سيتوفر عليه سلطان المغرب سيتم تشكيله برعاية فرنسية. أما الفقرة الأولى من البروتوكول الملحق فقد تم فرض من خلالها الاطلاع على جميع مشاريع الظهائر والمراسيم من طرف ممثل فرنسا بالمغرب لأجل وضع ملاحظاته على النصوص، سيما فيما يتعلق بالمس بمصالح فرنسا والفرنسيين أو الأجانب.

5. خاتمة:

ختاما يمكن القول انطلاقا مما سبق أن الموضوع يتميز بنوع من الخصائص المرتبطة بانفتاحه على مجموعة من الإشكالات المتداخلة في التاريخ السياسي للمغرب المعاصر، والتي تشكلت أسسها بشكل كبير في عهد الاستعمار 1912-1956 ، وهو ما يجعل مهمة الدراسة التاريخية تحتفي بأهمية تتجلى في قدرتها على طرح تساؤلات حول السياقات التي أنتجت حدث عريضة الاستقلال والأطراف المتفاعلة معها، وحيثيات خروجها وانعكاساتها على أفق نضالات الحركة الوطنية وعلاقتها بالسلطان المغربي وكيف أنها أسست لواقع جديد فرض على فرنسا تغيير خططها الاستعمارية وتفكيرها في إيجاد حل للقضية المغربية ليكون بذلك حدث تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال 11يناير 1944 بالمنطقة السلطانية حدثا مفصليا في تاريخ المقاومة المغربية ضد المستعمر.

6. هوامش:

[1]- مجيد أيور، "وثيقة 11يناير 1944،سياق استحواذ البرجوازية بقيادة النضال ضد الاستعمار"، الجريدة الالكترونية "المناضل-ة"، العدد 11، مارس 2006.

[2]- روم لاندو، "تاريخ المغرب في القرن 20"، ترجمة: نيقولا زيادة، مراجعة الدكتور أنيس فرحة، نشر دار الكتاب الدار البيضاء بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1980، ص 259.

[3]- عبد الكريم غلاب، " تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب"، مطبعة الرسالة، الرباط، الطبعة الثانية 1987، الجزء الأول، ص 216.

[4]-محمد حمو الادريسي،"الحركة الوطنية في الشمال ودورها في استقلال المغرب والجزائر"، ص 49.

[5]- عبد الكريم غلاب، المرجع السابق، ص 218.

[6]- روم لاندو، "أزمة المغرب في القرن20"، ص 251.

[7]- روم لاندو،" أزمة المغرب الأقصى"، ترجمة اسماعيل علي الحوت، الجزء الأول، طباعة الألوان المتحدة، القاهرة 1961، ص 252.

[8]- مارية دادي،" سنة 1940 المنعرج التاريخي الهام في مسير المقاومة المغربية"، مجلة المقاومة، العدد 36، شتنبر 1994، ص ص 56-66، ص 57.

[9]- عبد الكريم غلاب، "تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب"، الجزء الأول، ص 223.

[10]- ألبير عياش، " المغرب والاستعمار، حصيلة السيطرة الفرنسية"، ص 396.

[11]- الطائفة: هي المجموعة السرية التي تعد القيادة العليا للحزب الوطني التي كانت تخرج القرارات عنها.

12- أبو بكر القادري، "مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1941 إلى 1945"، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997، الجزء الثاني، ص 156.

13- علال الفاسي، " الحركات الاستقلالية في المغرب العربي"، ص 250.

[14]- وقع البيان من طرف 8تجار أو صناعيين، و5 فلاحين أو ملاكين عقاريين و 6 موظفين مخزنيين، و 4 قضاة، و 7 من أعضاء المهن الحرة و 10 علماء و 18 من أعضاء سلك التعليم، " البير عياش"، المرجع السابق، ص 396.

15- البير عياش، "المغرب والاستعمار، حصيلة السيطرة الفرنسية"، ص 396.

[16]- عبد الكريم غلاب، "تاريخ الحركة الوطنية المغربية"، الجزء الأول، ص 293-294.

17- إرشاد حسن، "حزب الاستقلال(1944-1974) من الأمة إلى الطبقة"، مجلة الجسور، الرباط العدد الثالث، السنة الأولى، تشرين الأول، كانون الأول، 1981، ص 46.

[18]- أبو بكر القادري، " محمد الخامس، ملامح من حياته وصور من جهاده"، ص 85.

[19]- عبد الخالق الرحموني، التحدي الحضري ورهان الاستقلال"، مجلة المقاومة، العدد: 43، يونيو1996، ص ص (33-37) ص 35.

20- رقية بلمقدم، "زيارة سيدي محمد بن يوسف إلى طنجة، التوقيت واختيار المدينة"، زيارة السلطان سيدي محمد بن يوسف إلى طنجة، ص ص(80-99)، ص 96.

[21]- علال الفاسي،" نداء القاهرة"، مطبعة الرسالة، الرباط، الطبعة الثانية، 1981، ص 159.

[22]- عبد الله كنون، "رحلة محمد الخامس التاريخية لطنجة"، مجلة دار النيابة، العدد 10، السنة الثالثة، 1996، ص ص (47-56)، ص 50.

23- محمد حمو الإدريسي، الحركة الوطنية في الشمال ودورها في استقلال المغرب والجزائر"، ص 59.

[24]- عبد العزيز التمسماني خلوق، " ملامح من تاريخ طنجة المعاصر"، منشورات سليكي إخوان، طبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1996، ص 72.

[25]- عبد الله كنون، "رحلة محمد الخامس التاريخية إلى طنجة"، مجلة دار النيابة، العدد 10، السنة الثالثة، ربيع 1996، ص ص(47-56)، ص 50.

[26]- علال الفاسي، "الحركات الاستقلالية في المغرب العربي"، مطبعة الرسالة، الطبعة الرابعة، ص 258.

[27]- أحمد عبد السلام السامرائي، "جهود أحمد بلافريج في تقديم وثيقة الاستقلال المغربية عام 1944"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية(مجلة علمية محكمة)، المجلد السابع، العدد 20، أبريل2015، ص 103.

[28]- قاسم الزهيري، "محمد الخامس الملك البطل"، مطبعة أكدال، الرباط.

29- اسية بنعدادة، "الملك محمد الخامس والمطالبة بالاستقلال"، ميثاق11يناير 1944 وردود الفعل المختلفة".

[30]- أحمد عسة، "المعجزة المغربية"، دار العلم للطباعة، بيروت 1975، ص 231.

31- أبو بكر القادري، "مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية"، الجزء الثاني، ص 241-242.

[32]- أحمد عبد السلام السامرائي، "جهود أحمد بلافريج في تقديم وثيقة الاستقلال المغربية عام 1944"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية(مجلة علمية محكمة)، المجلد السابع، العدد 20، أبريل 2015، ص 105.

[33]- نعمة السعيد، "المغرب العربي، استعراض للمعالم الحضارية لأقطار المغرب العربي وتطور أنظمتها السياسية ما قبل وبعد الاستقلال"، دار الحرية، بغداد، ص 101.

[34]- صلاح العقاد، " المغرب العربي من الاستعمار إلى التحرر القومي"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الجزء الثاني، ص 223-224.

[35]- "مفاوضات اكس ليبان"، مقال إلكتروني، سنة 2015، ص 1.

[36]– "معاهدة اكس ليبان تفتح شهية المستفيدين من الاستقلال"، جريدة "المساء"، العدد 2594، سنة 2015، ص 20.

[37]– "بوطالب: مؤتمر"اكس ليبان" انتهى قبل أن يبدأ"، جريدة "المساء"، العدد 2529، سنة 2014، ص 8.

[38]– " لهذه الأسباب رفض بوعبيد مفاوضات"اكس ليبان"، جريدة "المساء"، العدد 2529، سنة 2014، ص 9.

[39]– "عندما صرخ المهدي المنجرة: " إنها خيانة"، جريدة "المساء"، العدد 2529، سنة 2014، ص 10.

7. قائمة المراجع:

– أبو بكر القادري، "مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1941 إلى 1945"، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997، الجزء الثاني.

– أبو بكر القادري، "محمد الخامس: ملامح من حياته وصور من جهاده"، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1990.

– أحمد عبد السلام السامرائي، "جهود أحمد بلافريج في تقديم وثيقة الاستقلال المغربية عام 1944"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية(مجلة علمية محكمة)، المجلد7، العدد20، أبريل 2015-06-09.

– أحمد عسة، "المعجزة المغربية"، دار العلم للطباعة، بيروت 1975.

– ألبير عياش، "المغرب والاستعمار: حصيلة السيطرة الفرنسية"، سلسلة معرفة الممارسة، دار الخطابي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، أبريل 1985.

– إرشاد حسن، "حزب الاستقلال(1944-1974) من الأمة إلى الطبقة"، مجلة الجسور، الرباط العدد الثالث، السنة الأولى، تشرين الأول، كانون الأول، 1981.

– آسية بنعدادة، "الملك محمد الخامس والمطالبة بالاستقلال،ميثاق 11 يناير 1944 وردود الفعل المختلفة".

– روم لاندو، "تاريخ المغرب في القرن 20"، ترجمة: نيقولا زيادة، مراجعة الدكتور أنيس فرحة، نشر دار الكتاب الدار البيضاء بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1980.

– روم لاندو،" أزمة المغرب الأقصى"، ترجمة اسماعيل علي الحوت، الجزء الأول، طباعة الألوان المتحدة، القاهرة 1961.

– رقية بلمقدم، "زيارة سيدي محمد بن يوسف إلى طنجة، التوقيت واختيار المدينة"، زيارة السلطان سيدي محمد بن يوسف إلى طنجة.
– عبد الكريم غلاب، " تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب"، مطبعة الرسالة، الرباط، الطبعة الثانية 1987، الجزء الأول.
– عبد الله كنون، "رحلة محمد الخامس التاريخية لطنجة"، مجلة دار النيابة، العدد 10، السنة الثالثة، 1996.
– عبد العزيز التمسماني خلوق،" ملامح من تاريخ طنجة المعاصر"، منشورات سليكي إخوان، مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1996.
– عبد الخالق الرحموني، التحدي الحضري ورهان الاستقلال"، مجلة المقاومة، العدد: 43، يونيو1996.
– علال الفاسي، "الحركات الاستقلالية في المغرب العربي"، مطبعة الرسالة، الطبعة الرابعة.
– علال الفاسي، "نداء القاهرة"، مطبعة الرسالة، الرباط، الطبعة الثانية، 1981.
– صلاح العقاد، " المغرب العربي من الاستعمار إلى التحرر القومي"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الجزء الثاني.
– قاسم الزهيري،"محمد الخامس الملك البطل"، مطبعة أكدال، الرباط.
– مارية دادي،" سنة 1940 المنعرج التاريخي الهام في مسير المقاومة المغربية"، مجلة المقاومة، العدد 36، شتنبر 1994.
– محمد حمو الإدريسي، "الحركة الوطنية في الشمال دورها في استقلال المغرب والجزائر"، مطابع البوغاز، طنجة، الطبعة الأولى 1990.
– مجيد أيور، "وثيقة 11يناير 1944،سياق استحواذ البرجوازية بقيادة النضال ضد الاستعمار"، الجريدة الالكترونية"المناضل–ة"، العدد 11، مارس 2006.
– "مفاوضات اكس ليبان"، مقال إلكتروني، سنة 2015.
– نعمة السعيد، "المغرب العربي، استعراض للمعالم الحضارية لأقطار المغرب العربي وتطور أنظمتها السياسية ما قبل وبعد الاستقلال"، دار الحرية، بغداد.

الجرائد

– "معاهدة اكس ليبان تفتح شهية المستفيدين من الاستقلال"، جريدة "المساء"، العدد 2594، سنة 2015.
– "بوطالب: مؤتمر"اكس ليبان" انتهى قبل أن يبدأ"، جريدة "المساء"، العدد 2529، سنة 2014.
– " لهذه الأسباب رفض بوعبيد مفاوضات "اكس ليبان"، جريدة "المساء"، العدد 2529، سنة 2014.
– "عندما صرخ المهدي المنجرة: " إنها خيانة"، جريدة "المساء"، العدد 2529، سنة 2014.